لماذا غابت عن مراسلي الفضائيات العربية؟

مشاهد من حياة بغدادية (مفخخة)

عبد الكريم العبيدي

في الكرنفال المثير الذي أحيا فيه اليونانيون أطوار حضارتهم كافة بمناسبة افتتاح دورة الألعاب الأولمبية في العاصمة أثينا، وقف الملوك والأمراء والرؤساء وكبار الضيوف من الشخصيات السياسية والأدبية والفنية والرياضية ومعهم كل المتفرجين من جنسيات عربية وأجنبية مختلفة وراحوا يصفقون ويهتفون بأعلى أصواتهم لمؤازرة وفد أولمبي صغير مر من أمامهم بهدوء وهو يلوح مبتسماً، وما أن هتف المعلق الداخلي معرفاً بدولة ذلك الوفد حتى دوت موجة صاخبة من الهتافات والتصفيق فيما غص المعلق التلفزيوني الإماراتي بعبرة صادقة تشظت على لسانه وهو يهتف: الله، عراق.. والله تبقى كبير يا عراق.. لن تموت أبدا.. أنت فخرنا.. الكل يقف ويصفق لك ويهتف.. كان ذلك المشهد الفاخر في أثينا وكان إنشدادنا المحموم والمرتبك يتخطى دوي الانفجارات والعيارات النارية ويهوم في فراغات مستعرة داخل موجات من الفرح والفخر والسرور المتعثر، كان يحق لنا أن نبتسم في الأقل فابتسمنا جميعاً..

ولكن يحق لهذه الابتسامة أيضاً أن تدافع عن شعاعها الفتي، وأن تتمطى وتنتشر لتصافح عشرات الابتسامات الضائعات في الأحياء والبيوت والشوارع، ولتعقد هدنة غير طارئة مع النفوس والأمل المخنوق بشظايا الرمانات اليدوية ورعب السيارات المفخخة.

جنود أمريكان في حفلة

وهكذا تعرفت تلك الابتسامة على (أختها) في كرفان خشبي صغير اكتظ بالرجال والنساء والأطفال داخل مجمع سكني في أطراف بغداد الجنوبية.. كان الجميع، بمن فيهم أنا، يصفق فرحاً ويردد مع أعضاء الفرقة الموسيقية الشعبية أغنيات بغدادية تراثية وريفية جنوبية، وكانت أصوات الآلات الموسيقية النحاسية تهدد بألحانها الصاخبة مكتسحة كل أثر للرعب، وداعية بعذوبتها الفطرية الوجوه كافة التي أنهكها القلق وأعاقها التشنج لكي تتهلل فرحاً وتبتسم.

وهذا يوم للفرح، يقول (أحمد هادي) ويضيف (أنه ولدي البكر الذي جاء متأخراً جداً بعد ثلاث بنات ويحق لي أن أقيم له عرساً وليس حفلة ختان بسيطة، ولهذا دعوت جميع أقاربي والجيران والمعارف وأقمت لهم مأدبة غداء تليق بهم واستأجرت فرقة موسيقية شعبية (لإحياء هذا الحفل لأجعل الفرح والمسرة قاسمنا المشترك في ساعات هذا الحفل الذي أتمنى أن مثل كل أيامنا.

ولكن الحفل لم يطل ولم يتحول فرحه إلى قاسم مشترك برغبة (أبو علي)، خصوصاً بعدما تحول إلى مهرجان لإطلاق الرصاص من قبل الأقارب والجيران، في تعبير (متطرف) عن شدة فرحهم مما دعا القوات الأمريكية المتواجدة على مقربة منهم - أقصد القوات المتعددة الجنسية لإرسال مدرعة عسكرية للاستطلاع، ولمعرفة مصدر العيارات النارية.

وبعد أن أطمأنوا تماماً من خلال الحوارات الساخنة التي أجروها مع أهالي المجمع، من إنها مجرد حفلة ختان صغيرة وليست (عملية إرهابية)، وأن الحضور جميعهم من أهالي الحي وليس بينهم (زرقاوي) واحد، انسحبت المدرعة بجنودها الخمسة تاركة إنذاراً حاسماً بعدم إطلاق النار مرة أخرى وإلا (!).. وهذه الـ (إلا) لوحدها كانت كافية لتفرق الجميع بعد تناول وجبة الغداء، صوناً لأنفسهم من (مآسي أبو غريب المحتملة).

أعراس الأمس واليوم

حفلات الأعراس (والحنة) والخطوبة منتشرة في أحياء بغداد والمحافظات وبحسب قانون حفظ المادة الفيريائي فإن العراقيين قلقون في هذه الأيام على حفظ نسلهم ووجودهم إثر الفضائح والمجازر الدموية التي يتعرضون إليها يومياً في الأحياء والشوارع والمؤسسات سواء من جراء القصف الصاروخي الأمريكي أو من انفجار السيارات المفخخة التي كست شوارع وأرصفة مدنهم بلونها الدموي المرعب.

كانت حفلات الأعراس تقام في الأحياء الشعبية ليلاً، وتمتد إلى ساعة متأخرة جداً بعد (ضمان) استمرار التيار الكهربائي في الزقاق المقام به الحفل (بإكرامية مجزية) لبعض العاملين في قطاع الكهرباء الذين كانوا يبحثون عن (رائحة الحفلات) بعدما وضعهم الطاغية، مثلما وضع الشعب كله، في نفق الجوع والحرمان والرعب والرشاوى، فانزلق فيه غير المحصنين منهم.

أعراس اليوم تبدأ بعد صلاة العصر مباشرة وتنتهي قبل أذان العشاء. وفي هذا الوقت الضيق المشبع بالأغاني الشعبية والتهاني والتبريكات، يعيش العراقيون سويعات فرحهم تلك، ويتبادلون الأماني بإعادة البناء والإعمار وتجاوز محن الحروب والدمار التي خلفها النظام المقبور.

حالة عراقية متميزة

هي فرحة وفخورة وتشع من عينيها عزيمة امرأة شجاعة اثبتت لنفسها ولذويها إنها محل ثقتهم واعتزازهم، وإنها مثال حي وواقعي للمرأة العراقية الجديدة التي نجت من بدعة (الماجدة الصدامية) ومآسي اتحاد النساء ورعب (الليثين القذرين المقبورين).

وفي العطلة الصيفية الحالية تنشغل (أحلام طالب عبود) بالإشراف على دورة تقوية مصغرة لمجموعة من التلاميذ الصغار، أبناء جيرانها مجاناً لغرض تهيئتهم عقلياً ونفسياً للعام الدراسي القادم.

تقول أحلام: (برغم) إنني طالبة دراسات عليا ومنهمكة برسالة الدكتوراه، إلا إنني أقول وبتواضع إننا باستطاعتنا أن نعمل الكثير من أجل وطننا بمجرد توفر النية الصادقة واستحضار قيمنا وفهم المرحلة الصعبة التي نعيشها الآن والتي تتطلب منا أن نكون أكثر صبراً وانتماء لعراقنا الذي هو بحاجة لنا جميعاً، ولا اعتقد أن أي عراقي مخلص وشجاع يقبل بالوقوف متفرجاً على ما يدور من حوله، دون أن يشارك ولو بقلبه وذلك أضعف الإيمان).

(أحلام) ترى أن حصول المرأة العراقية على نسبة ٢٥٪ في مشاركتها للرجل في المجلس الوطني القادم هو مكسب شرعي كبير للمرأة وسيحقق قفزات هائلة في الحياة العراقية المقبلة.

العراق يرمم نفسه

ما زال الشارع العراقي يرفل بالحياة، سابلة ومتبضعون من رجال ونساء وشباب وعوائل تركن سياراتها الحديثة في مآرب آمنة وتترجل على الأرصفة، لتتفرج على معروضات المحال التجارية ولتتبضع ما تحتاجه من ملابس وأقمشة ولوازم مدرسية ومنزلية ثم تعود إلى منازلها بهدوء.

وعلى الرغم من كثرة الاختناقات المرورية وزحام السيارات والقلق من انفجار سيارة مفخخة في هذا المكان أو ذاك، إلا أن الحياة العراقية ظلت متوهجة وصامدة، وظل العراقيون يرممون وجودهم بإصرار عجيب من حرب إلى حرب، ومن حصار إلى ضربات صاروخية، ومن احتلال إلى سيادة وديمقراطية!! وأحلام تنمو ببطء وتجسد كينونتها وسط المعوقات الكثيرة والأخبار المشبطة وروائح الدم والجثث اليومية.

لا تكاد تسير في شارع عراقي إلا وتشاهد عن يمينك أو شمالك عمارة، محلاً تجارياً يتجدد، أو دائرة تعيد الحياة إلى بنايتها.. حملات الإعمار بدأت بعيد سقوط النظام الأسود في جميع دوائر الدولة، بعضها أنجز تماماً ودخل الخدمة الفعلية، والبعض الآخر ما زال قيد البناء والإعمار.

جميع المدارس الابتدائية والمتوسط والثانوية والمعاهد والجامعات أعيد ترميمها وسلمت إلى إداراتها.. وما أن تتصفح جريدة عراقية نزيهة إلا وتطالع أخبار البناء والإعمار وصور الحياة المقبلة (٩٠٣٤ عاملاً عراقياً و٢٣٢٢ طالباً جامعياً يشاركون في حملة تجميل عاصمتهم - فرص تدريبية للطلبة العراقيين في الدراسات الأولية والعليا بعدة دول عربية - إعمار وتأهيل المكتبة المركزية - نصب خطين لنقل الطاقة الكهربائية من تركيا - تخرج سبعة فصائل جديدة من الحرس الوطني - استعدادات لاستقبال العام الدراسي الجديد في جامعة بغداد - وأرقام مذهلة عن عدد التلاميذ الذين سيلتحقون بالمدارس الابتدائية في العام المقبل، وعن الذين سيغادرونها إلى المرحلة المتوسطة وعن عدد الذين سيلتحقون بالمرحلة الإعدادية وبالمعاهد والجامعات).

أخبار عن عراق خلع (زيتونية) الفساد الدكتاتوري وأزلامه وحلقاته الخبيثة ودخل غده الجديد من فجوة ضيقة ليمارس أولى تمارين الحياة الحرة.

مشاهد من الحياة البغدادية

في جولات قصار يلتقط العابر في الشارع مئات المشاهد الجديدة التي غابت عن عيون المراسلين وأشباههم ولكنها خرجت إلى الشمس ولن تعود.

★صبي عراقي تحدث في سيارة أجرة قال: إذا كان أبي يخجل من ذكر مهنة جدي الذي كان يعمل شرطياً، فأنا فخور بأبي الآن لأنه تعين أخيراً شرطياً في وزارة الداخلية!

★عائلة سائق عراقي وزعت الحلوى والشربت على جيرانها لأنها اقتنت دفعة واحدة ثلاجة وتلفزيون وستلايت ومجمدة ومبردة وخلاط وكاونتر وطقم قنفات بعدما حصل رب الأسرة على مكافأة كبيرة لأمانته وبسبب حفاظه على سيارتين حديثتين سلمهما إلى دائرته بعد انتهاء موجات السلب والنهب.

★أبرز ما شهده المشهد الثقافي العراقي هو الانفجار الهائل في عدد المنتديات والتجمعات والملتقيات والاتحادات والمحاضرات الفكرية والثقافية والصحف والمجلات والمعارض الفنية والأدبية والمهرجانات بعد أن تحرر العقل العراقي من قيود حبسه على مدى عقود عديدة، وشعر - أول مرة - بحريته وبالأجواء الصحية المحيطة به بعيداً عن الرعب والاستبداد والدكتاتورية.

★عشرات المئات من الشعراء والروائيين والرسامين والصحفيين يتنافسون هذه الأيام على إصدار نتاجاتهم التي كادت تقضي عليها الأرضة وهي رهينة المحبسين.

★مئات الآلاف من العراقيين سافروا أول مرة - إلى خارج القطر، وأضعافهم عادوا إلى وطنهم أحراراً بعد عقود من عذاب المنافي في كل دول العالم.

★آلاف العراقيين المفقودين عادوا إلى أهلهم كرفات ليس غير، لا يحملون من وجودهم سوى جماجمهم وبقايا من دفاتر خدمتهم أو حاجة لم تمح طوال الأعوام التي قضوها في مقابرهم الجماعية.

★أول مرة يهرع خريجو الجامعات والمعاهد إلى دوائر الدولة والقطاع الخاص ليمارسوا اختصاصاتهم بلا قطع غير مبرمج في المؤسسة العسكرية التي غربلها صدام بهمجيته الفارغة.

مرضى حائرون بين الخجل والخوف من المضاعفات

٥٠٠ مصاب بالتدرن سنوياً في كربلاء... ومجانية العلاج وحدها لا تقضي على المرض

بين المحزن والمؤلم تتشعب الحياة وتترك الحالة الصحية بصماتها على الإنسان، تجارب تخوضها العوائل المنهكة ويحكم فيها الطبيب. ومن بين هؤلاء من يخجل وبعضهم الآخر يشعرك بالذنب لأنك وجهت له سؤالاً حول حالته. وبين رأي الطبيب وامتناع المرضى عن البوح بما يعانون أرتأينا الدخول إليهم من زاوية بعيدة عن الإحراج مراعاة لهذه المشاعر. وكانت نقطة مرض التدرن أو ما يعرف بالسل الرئوي هي باب الحديث.

نجم عبد خضير
انتصار السعداوي

عيادة استشارية لا يزورها المسؤولون خوفاً من العدوى.. وطبيب عضه كلب!

الوصمة الاجتماعية وتأثيراتها

يقول الدكتور صالح مهدي الحسناوي مدير صحة كربلاء: فيما يخص مرضى التدرن ومركز الفحص والأطباء والمنتسبين، تكون هناك عدة نقاط مأساوية وكثير من هؤلاء المرضى لا يريدون أن يعرف أحد عنهم أنهم مصابون بالتدرن. هذا التخفي كان أحد أسباب انتشار المرض، والمراجعة تكون بعيدة عن أنظار الناس. ولتنظيم العلاج لهم على وفق نظام وزارة الصحة والنظام العالمي الجديد، يتسلم هؤلاء المرضى العلاج من أقرب مركز صحي. ولا يخفى أن هناك نقصاً كبيراً في الأدوية بسبب مصاعب توريد الأدوية وفحصها وهي متوفرة في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى تكون شحيحة واعتقد أن بعض المنظمات الإنسانية الدولية تمكنت من توفير بعض الأدوية لمرضى التدرن. وشكا د. الحسناوي من أن العيادة الاستشارية تعاني تقدمه، كما يقول.

السجون من أسباب انتشار المرض

بين الحسرة والتردد تزداد وتيرة تنفس المصاب علي جاسم محمد وهو يقول: سبب إصابتي الحبس داخل التسفيرات (١٥) يوماً. أصبت بهذا المرض اللعين وبدأت أخاف على عائلتي أكثر من خوفي على نفسي، وعند المراجعة تحسنت حالتي الصحية إلا أن التدخين سبب لي استفحال المرض مرة ثانية، حالتي ليس سببها سوء التغذية بل العدوى، صحيح إنني خجل حتى أثناء مراجعة العيادة الاستشارية إلا أن الكادر الصحي كان اقرب إلى معاناتي من خلال تفهم هذه الحالات وأدائهم الإنساني.

المنظمات الإنسانية تسمية فقط! يقول علي كاظم عبيد: قضيت ثماني سنوات في سجن (أبو غريب) مما سهل إصابتي بالسل الرئوي. وقد راجعت العديد من المنظمات الإنسانية لكن لا جدوى، لأنني منهك من المرض وهم بعيدون عن المواطن.. قريبون منه في الشعارات فقط.. أعني كل المنظمات الإنسانية، ولولا تعاون ملاك المركز الطبي في كربلاء الذين اعتبروني أحد أفراد عائلتهم من خلال الجولات التفقدية لبيوتنا نحن المصابين للإطلاع على حالنا، لما كنت أتحدث إليكما الآن على الأرجح.

البيئة والفقر

الدكتور عبد الجليل كامل مدير العيادة الاستشارية للأمراض الصدرية والتنفسية في كربلاء قال: وفقاً لسجلاتنا لدينا من (٤٠٠ - ٥٠٠) مصاب سنوياً بمرض التدرن وهذا المرض معد لكن يمكن شفاؤه إذا التزم المريض بالعلاج، وهذا يعتمد على البيئة والفقر وهو أحد أسباب انتشار المرض فضلاً عن إن السجون تكون مصدراً أساسياً في انتشاره من خلال انتقال هذه العصيات الدرنية عن طريق الاختلاط والتنفس واكتظاظ السجون وبين مدة وأخرى يتم جلب مرضى منها إلى العيادة.

ما علاقة الفقر بالمرض؟

- بدأت نبرة صوته ترتفع ليقول: نعم، الفقر أحد أسباب انتشار المرض، فهو يسبب قلة المناعة لتتفاقم المشكلة وتصيب أفراد عائلة المريض، أسألك بالله كيف باستطاعة رب العائلة المصاب أن يعيل عائلته وهو مريض. وإليك هذا البيان الذي خاطبنا به الجمعيات والمؤسسات لكن دون فائدة سوى استجابة من امرأة قدمت لكل مريض خمسين ألف دينار مشكورة وقد اضطررنا، والحال هذه، ان نصرف من جيبنا الخاص في متابعة المرضى إلى بيوتهم ولعدم توفر آلية خاصة بنا. وأروي لك حادثة تعرض لها الطبيب د. غالب الخشان الذي عضه كلب وهو يتنقل بين القرى النائية لمتابعة المرضى..

وذكر أيضاً حالة رب أسرة واب لستة أطفال وهو عامل بناء بسيط قائلاً: إنه سأل أحد أطفاله ملاطفاً: ما أفطارك اليوم. فأجابني بصريح العبارة: (السرة مو إليه اليوم) تصوروا هذه الحالة: والحالة الأخرى امرأة مصابة جلبت أفراد أسرتها من خلال بيعها كيلوين سكر من حصتها الغذائية. لتصل إلى عيادتنا. هذه الحالات الصعبة تثير فينا الأسى نحن معشر الأطباء.

خوفاً من العدوى

المصور الشعاعي عدنان شاكر عبد الرزاق قال: أصيب ثلاثة من زملائنا بالعدوى والمرض أودى بحياتهم هم المنتسب مهدي وزميلتان من الملاك النسوي ومع ذلك فإن الملاك الطبي لا يتسلم مبلغ الخطورة المهنية ولا التجهيزات الخاصة بعملنا إضافة إلى انعدام الدعم المادي والمعنوي حتى إن المسؤولين لا يقومون بزيارة هذه العيادة خوفاً من إصابتهم بالعدوى، فكيف نحن؟ ولسوء أداء الأجهزة القديمة لدينا كان المرضى يضطرون لأخذ أشعة خارج العيادة بكلفة (أربعة آلاف) دينار وهذه كانت تشكل ثقلاً آخر على المريض المنهك مادياً لأن الجهاز لدينا يستغرق ثلاثة أيام حتى تظهر أشعته وهذه المدة كافية لاستفحال المرض. الغريب أن

انتكاسة

جدد وقدامى

يصنف الدكتور غالب الخشان المرضى إلى صنفين الجدد والقدامى، وهؤلاء تتم عملية فحصهم مجاناً في المركز، ومن ثم تتم إحالتهم إلى المراكز الصحية القريبة من سكنهم حيث يتم فتح ملفات لهم وإعطاؤهم العلاج، ويتم إرجاعهم إلينا كل شهرين أو ثلاثة حسب فئة المرض، وتتم هذه الإحالة من خلال منسق التدرن.

وعن أعراض المرض قال إنها تتمثل في ضعف عام وحرارة مع تعرق ليلي وسعال لمدة أكثر من ثلاثة أسابيع، قد يكون مصحوباً بالقشع أو نفث دموي. وهذا يعتمد بدوره على حجم الإصابة وتجب مراجعة المراكز الصحية الأولية التي بدورها تقوم بإحالة المرضى علينا حيث تتم لدينا عملية الفحص الشعاعي وفحص البلغم والفحوصات الأخرى مجاناً.